انهُ سيكون في مستقبل الزمان على جبال عكار كنار يرسل على النفوس انوارًا سماويَّة تمدّدها الى الدين الحقّ وترشدها الى ينابيع الخلاص بشفاعة تلك البتول التي جعلت مقامها في قلعةٍ دلالةً على قدرتها وسلطانها السامي عند الله فتخذل من ثمَّ كلّ قوّات الابالسة وتسحق رأس الحيَّة الجهنميَّة وتبذر في قلوب المؤمنين بذورًا صالحة تأتي في اوانها باثمار الخلاص

ولنا ضنين عن ذلك بما نراهُ من عدد الزوّار من مؤمنين وغير مؤمنين الذين يهرعون كلّ يوم الى المعبد الجديد ليستمطروا من فيض مراحم سيدة القلعة غيوث البركات والنعم فينالون شفاء من امراضهم وتعزية في احزانهم وهداية في شكوكهم. وكم رأينا منهم اذا عادوا الى اوطانهم اخذوا معهم دكوةً يملأونها من ماء البئر ليسقوا منهُ ذوي العاهات من اصحابهم فيُشفون ومنهم من يستصحبون معهم شيئاً من تراب المزار يعلّقونها في بيوتهم كحرزٍ حريز واذا دهمتهم نكبة صبُّوا منهُ قليلًا في مائهم تخفيفًا لاوجاعهم

وقد ابت البتول الّا ان تجازيهم عن ايمانهم هذا كما جرى لامرأة من زغرتا أُصيبت بصرعٍ مزمن فنالت الشفاء التامّ بعد ان قضت ليلةً بقرب مذبح السيدة. وكما حدث للشيخ سعد الماروني في اذار سنة ١٨٩٨ لمَّا اندلع لسان اللهيب متهدّدًا التهام كل غلّاته فما لحظ ذلك حتى التجأ الى حماية سيّدة القلعة ووعد بتقدمة مبلغ من المال لقاءها ان ردَّت عن حقولهِ هذه الآفة فخمدت النار فجأةً بمرأى من الجمع المتقاطر. وامور أُخرى كثيرة لو اردنا تفصيلها لطال بنا الكلام. وفي ما سبق كفاية لتعريف فضل سيدة القلعة رعانا الله بعين حمايتها وهدانا الى نيل السعادة بشفاعتها وصلواتها آمين

في سرّ صناعة الجوهر

لجناب الاديب يوسف افندي غنّام ثابت

قد وصفنا في مقالة سابقة (المشرق ٣ : ٥٨٣) الجوهر وخواصهُ واصنافهُ المختلفة. بيد انّنا اثبتنا في ختام وصفنا ان سرّ صناعة الجوهر لا يزال دفيناً الى يومنا هذا

ولكن يا تُرى أيسوغ للمرء ان يحجم عن ادراك الوطر اذا حالت العوارض دون مرامهِ او ليست المصاعب باعثًا جديدًا يحملهُ على طلب غايتهِ

تريدين ادراك المعالي رخيصةً ولا بدَّ دون الشهد من إبر النحلِ

وعليه احببنا ان نعود الى هذا البحث الشريف لندوّن هنا ما يتناقلهُ القوم وارباب الصنائع في هذا الصدد فلعلَّ هذه الروايات تمهّد السبيل لبعض اهل بلادنا فيتّصل بعد الامتحان والتجربة الى كشف القناع عن هذا السرّ وجلاء غوامضهِ واحيـاء صناعة شريفة يأسف العلماء على فقدانها

كم مدركٍ في يومهِ بغدهِ ما لم يكن بالامس في حسابهِ

نقول أنّنا قد تحقّينا في السؤال عن هـذا الامر الجلل عند كلّ من لهم إلمام بصناعة الاسلحـة واستعلمناهم عمّا سمعوهُ بالتقليد من قدماء الصياقل ثمّ قابلنا بين اقوالهم المتباينة فكانت نتيجة بحثنا انَّ جوهر السيوف متوقّف على جنس المعـدن الداخل في تركيبها . وممّا يزيد ذلك ما بانَ لنا عن قدمـاء الصياقلة الدمشقيين فانهم كانوا اذا ارادوا صنع نصـل بجوهر عمدوا الى المعادن القريبة من بلدهم فيبحثون عن قطع معدنيّة يغلب عليها الحديد يعرفونها بالاختبار والشكل واللون فاذا وجدوا ضالّتهم ألقوها في نار حامية من فحم السنديان فيصهرون هذه القطع ولا يزالون في تجنيهـا وتليينها حتى تُشبَّع كربونًا ثمّ يطرّقونها ويمدّونهـا نصالًا ثم يجدُّون في تخضيرها بالشحيرة (١ كما مرّ (ص ٥٨٠) فيظهر فيها الجوهر

امّا اختلاف الجوهر في النوع والشكل والتموُّجات فذلك يحصـل من التفنّن في تجنيهِ ومدّهِ اسلاكًا وجَدل قِطَعهِ (تعقيدها) ولحم بعضها ببعض

وهذا كلامٌ مجمل يصحُّ على كلّ اصناف الجوهر على اختلاف البلدان . ولكن ان سأل سائل من اين للجوهر الدمشقي فضلهُ على غيرهِ من النصال المجوهرة . اجبنا انَّ ذلك ناجم عمّا يدخل في معدنهِ الحديدي من معادن اخرى تجديهِ خواصّ لا تُرى في غيرهِ . وقد سبق لنا ان تحليل بعض الشفرات الدمشقيّة في المختبر الكيميويّ في كليّة القديس يوسف بيَّن فيها صنفين من المعـادن هما التيتان (titane) والخروم (chrôme) وكلاهما يتّصف بصفات عجيبة من شأنها ان ترينا في الفولاذ تلك التموُّجات البديعة . وموقع هذه المعادن الدمشقيّة في نواحي دوما اشتهرت في الزمن القديم ومنهـا كان يأخذ الحديد ابرهيم باشا لصنع اساحتهِ الممتازة بجودة معدنها

وفي هذا المقام يليق بنا ان نورد خبرًا حديثًا عن صناعة الجوهر العجمي اكّدهُ لنا كثيرون

١) الشحيرة تراب تؤخذ من اراضي الشحّار تكثر فيها الحواضن الكبريتية وليست كالسناج

من ابناء بيروت وهو انهُ منذ عشر سنوات اتى الى مدينتنا بيروت رجل عجمي واتخذ لهُ فيها دكّانًا بالمكان المعروف بالسُّور (عسُّور) فبقي في الدكان وجاقًا لشيه بالفرن او كوجاق تذويب النحاس غير انَّهُ يختلف عنهُ نوعًا ما فكان يأتيهِ بعض الصياقلة (منهم مهنَّا بالش الرحلاوي) بنصال مصنوعة من الفولاذ الانكليزي وغيره تامَّة الصنعة فيأخذها هذا ويجوهر المدية باجرةٍ قدرها نصف ريال عجيدي والقامة بريال

وهذه طريقتهُ في العمل كان اولاً يأخذ النصل ويطليهِ بمزيج لم يَبُح بسرّهِ الى احد ثمَّ يطليهِ ايضًا بطين من الحُوَّارى ويرشّ عليهِ ذرورًا ثمَّ يضعهُ في الوجاق نحوًا من ٢٤ ساعة. وكان كثيرون يراقبونهُ رجاء أن يتعلَّموا منهُ هذا الفنّ فلم يمكنهم منهُ. وقد اخبرني اخي سليمان انَّهُ رأى هذه النِّصال عند رجوعهِ من اميركة واختبرها فظهر لهُ ان الجوهر فيها يختفي عند البرادة اذ ليس هو الَّا كقشرةٍ رقيقة على سطح هذه النِّصال وقد حكم على هذا المزيج انَّهُ مؤلف من مسحوق معدني ابيض ذي برقات لامعة ومن موادّ كربونية تميل لون الفولاذ اكحد وبذلك تتجوهر هذه النصال. وقد تأسَّف اذ لم يتسنَّ لهُ الاجتماع بهذا العجميّ والاطّلاع منهُ على هذا الفن. واما شكل الجوهر الذي كان يصنعهُ العجمي فهو شبهُ الجوهر الهندي المعروف بالجوهر الأرقط وهو سوادٌ في اخضرارٍ تشوبهُ نُقط بيضاء لامعة متشعّبة يُحمى ايضًا عند البرادة ولا يظهر بالتخضير ومثلهُ الجوهر الهندي المذكور ينقد جوهرهُ ايضًا عند البرادة غير ان هذا يؤثر في الفولاذ فيزيد في صلابتهِ جدًّا ويجعل لونهُ ابدًا اخضر كهذا

أمَّا طريقة الهنود في تركيب الجوهر فهذا ما وقفنا عليهِ في دائرة المعارف (١٠: ٣٣٣) وهو وصفٌ معرَّب بما حرفهُ:

« وطريقة الهنود في تنجيم الحديد الخلقي تقوم بوضعهِ في بوتقة مصنوعة من الطين والقش وباضافة نحو عشر مقداره اليهِ من الحطب قطعًا صغيرة وبتغطيتهِ في البوتقة بورقتين او ثلاث من الورق الاخضر ولا يوضع في كلّ بوتقة اكثر من ليبرا من الحديد ويتخيَّر انواعًا مخصوصة من الحطب والورق الاخضر مثل حطب الكاسيا او ريكولاتا ثمَّ تُستر البوتقات بكتلة من الطين لمنع الهواء ويوضع عشرون او ثلاثون بوتقة معًا في كور قد احمي بالفحم النباتي الى درجة مرتفعة من الحرارة وتترك البوتقات فيهِ نحو ساعتين ونصف فتى بردت كُسرت فاذا الفولاذ في جوفها كتلة واحدة فان كان خشن الملمس او ذا نتوءات لم يصلح للصناعة فيوضع في بوتقة اخرى ويعاد احماؤهُ واذا كان املس مضلَّعًا او مخططًا بخطوط لامعة كان جيدًا »

هذا وبينما كنتُ اتحرَّى البحث والتنقيب عن هذا المطلب الخطير اذ بدا لي ان اراجع ما كتبهُ العلماء الاوربيون في هذا الصدد لعلّي اجد ما اروي بهِ غلّتي فاستعنتُ باحد الآباء اليسوعيين ووقفتُ على ما كتبوهُ فاذا هو شيء يسير ووصفٌ عامّ لا يفضي بالقارئ الى فائدة تُذكر فاخذني العجب من كون الفرنج لم يطلعوا لاقلامهم العنان في وصفها كما يصنعون باقي عادياتنا وآثارنا الشرقيَّة

ثمّ راجعنا التآليف الحديثة المطبوعة في بلادنا فلم نجد سوى فصلين ورد احدهما في دائرة المعارف (١٠ : ٣٢٣) والآخر في المقتطف (٦ : ٢٠٥—٢٠٧)

اما فصل « الدائرة » فقد ورد في مادّة « سيف » وهو غريبٌ في بابهِ فانّ كاتب هذا الفصل يزعم انّ ذكر النصال الدمشقيّة قد مرّ في مادّة « دمشق » مع انّ مقالتهُ في « دمشق » لا تحتوي شيئاً من هذا الوصف الموهوم ثمّ اردف الكاتب قولهُ:

« ان موسيو بريان والجنرال انوسوف كشفا عن سرّ صناعتها (النصال الدمشقيّة) او كادا فنال بريان اذا زيدت كميّة الكربون في الفولاذ ثمّ بُرّد بطرق مناسبة تألّف منهُ مع الكربون مركّبان منفصلان احدهما الفولاذ والثاني يقرب من الحديد المسبوك فاذا بُرّدا بالتدريج اخلّ تركيبهما وتبلورت كلّ مادة وحدها وكلما طالت مدة التبريد تكامل انفصال المركّبين وزادت الخطوط او العروق في الفولاذ المطرق وزاد فرنده. وطريقة بريان في استحضار الفولاذ انما هي باذابة الحديد اللين في ٥٠/١ من ثقلهِ من الشاج وباذابة برادة الحديد المسبوك السنجابية في مثل مقدارها من البرادة المتأكسدة وبتحريكها اثناء الذوبان وصنع من هذين المركّبين نصالاً في غاية الجودة. وقد امتحن الجنرال انوسوف هاتين الطريقتين فلم ينل بما ما يماثل الفولاذ الدمشقي جوهراً ورونقاً »

فتعجّبنا من هذا الوصف وفيهِ من التناقض ما لا يُنكر لانّ الكاتب يزعم انّ موسيو بريان والجنرال انوسوف قد اكتشفا سرّ صناعة الجوهر ثمّ يذكر لنا طريقتين لموسيو بريان وجد الجنرال انوسوف انّهُ « لم ينل بهما ما يماثل الفولاذ الدمشقي جوهراً ورونقاً ». اما طريقة الجنرال انوسوف فنقل كاتب الدائرة عن ذكرها والارجح عندنا انّ بريان وانوسوف لم يكتشفا شيئاً لانّ الكتبة الاوربيين الى يومنا هذا يقرّون بجهلهم الجوهر الدمشقي (١

اما مقالة المقتطف فكان املنا منها اعظم لاسيما بعد ان قرأنا في مطلعها (٦ : ٢٠٥) : « اعمل ذوو الالباب الفكرة في استرجاع صناعتها (السيوف الشرقيّة) فنال اهل اوربا من ذلك حظاً وافراً » فاستبشرنا بهذا القول واستشففنا من ورائهِ حكماً فصلاً لكنّنا تحقّقنا بعد قليل اننا استقدحنا زنداً كابياً واستمطرنا سحاباً خلّباً. فانّ المقتطف بعد هذه المقدّمة الفخيمة اورد ذكر رجلين حاولا كشف سرّ الجوهر الدمشقي يسّيان كلوه وعاشت وعرّف ثلاث طرق اتّخذاها لصنع النصال الدمشقيّة دعا الاولى طريقة الخيوط

١) هذا وكنا نود لو اتحفنا العلّامة الاديب سليمان افندي البستاني عمّا رآه في العراق من امر الجوهر يوم تولّى تلك البلاد عند دولة والي بغداد ضيفاً كريماً. فانّ ذلك كان يغنيهِ عن تعريب كلام الاجانب

المتوازية وهي « ان تُضمّ صفائح رقيقة من انواع مختلفة من الفولاذ معاً حتى تصير جسماً واحداً ثمّ تحفر اوجهُهُ باداة حفر وتملأ الحُفَر حتى تصير على مساواة الاوجه فتظهر عليها كالصفائح ». والطريقة الثانية دعاها طريقة الفَتل « بان تُلحم حزمة من قُضبان الفولاذ معاً باحمائها وتطريق بعضها على بعض بحيث تصير قضيباً مفتولاً عدّة فتلات على محورهِ ثمّ يطرَّق هذا القضيب ويُفتل على التوالي مرّات متكرّرة ويُفلق من وسطهِ على طول محورهِ فلقتين ويُضمّ ظهر الفلقة الواحدة الى ظهر الاخرى وتلحمان معاً بالاحماء والطَّرق حتى تصيرا فصلاً واحداً فتظهر على وجهَيهِ خطوط ورسوم متشعبة على صور متعدّدة ».

اما الطريقة الثالثة فدعاها طريقة الفسيفساء وهي لا تختلف عن الثانية الّا « بكون القضيب المفتول لا يُفلق من وسطهِ بل يقطّع قطعاً عديدة على عرضهِ ثمّ تجعل هذه القطع حزمةً واحدة ويُجعل وجها القَطْع في كلٍّ منها بحيث يحصل منهما وجها النصل وتُحمى هذه القطع وتُلحم معاً بالطرق. فتظهر على وَجهَيها اشكال شتى »

(قلنا) شتّان بين هذه الطرق والجوهر الدمشقي. والصواب انّ هذه الطرق المذكورة هي لصنع الجهر اي الجوهر الحديدي المعروف بجوهر الاسلحة النارية وتعرفها سائر المعامل الاوربيّة فضلاً عن كُتبه وهاشت وليست هي لجوهر السيوف المعروف بالضبان. وكفانا دليلاً على ذلك اقرار المتطف نفسهِ اذ يقول (٦ : ٢٠٦) : « غير انّ هذه النصال ليست الّا تقليد السيوف الدمشقيّة وهي دونها مهما قال البعض في مزاياها »

ثمّ انتقل المتطف الى وصف طريقة بريان التي سرّ ذكرها ولعلّ « الدائرة » نقلتها عن المتطف. وقد بيّنّا علاّتها وتضارُب القول فيها وشهادة الجنرال انوسوف في خلّها

اما طريقة انوسوف لصنع الجوهر التي سكت عنها كاتب دائرة المعارف فقد اثبتها المتطف قال : « وقد توصّل انصوف (وهو انوسوف) الى صنعهِ (الجوهر الدمشقي) باربع طُرق ابسطها ان يُذاب الحديد مع الكرافيت (الرصاص الاسود) وهي تقتضي حديداً من احسن الانواع وقوداً عظيماً وليس لها نتيجة مطّردة. . . » ثم اسهب في الكلام عمّا تقتضيهِ هذه الطريقة من الاعتناء وختم مقالتهُ بقولهِ انّ الذي خلف انصوف بعد وفاتهِ سنة ١٨٥١ على المعامل التي انشأها هذا الجنرال في زلاتسك على جبل اورال « لم يستطع أن يأتي بما أتى بهِ انصوف من النصال الدمشقيّة الشهيرة فاذا صحّ ذلك يكون سرّها قد ضاع من روسيا كما ضاع من دمشق ». فجُذا الاكتشاف

والصواب عندنا ان الجنرال انصوف لم يكتشف سرّ البتّة لانهُ لو كان وقف على سرّ صناعة الجوهر وكتب عنهُ ما كتب وانشأ لذلك المعامل الكبرى لما كان ممكناً ان يضيع السرّ بعد ان شاع هذا الشيوع. وفي ذلك دليل كافٍ على أنهُ لم يُحط القناع عن هذا المعمّى. وزد على ذلك ان المحدثين من اصحاب المعامل الاوربيّة يقرّون بعجزهم عن صنع جوهر الصبان كما قلنا سابقاً

ومما نأخذ على المقتطف قولهُ في السقاية: « اذا أُحمي الى درجة الصفرة (١ بلغ اسمى درجةٍ من التقسية . . . . ويُقسّى كذلك لعمل المناجل واذا أُحمي الى البنفسجيّة عُملت منهُ الازاميل » فاننا ننكر عليهِ عمل المناجل والازاميل من الجوهر مطلقاً لان الفولاذ يفضلهُ كثيرًا في مثل هذه الحال لاسيما انَّ قطعة صغيرة من الجوهر تُشترى بثمن مئة قطعة من فولاذ المناجل والازاميل لا بل ازيد فضلاً عن كوننا لم نرَ بحياتنا ولم نسمع انَّهُ وُجد عند احدٍ ازميل او منجل مجوهر

ثمَّ ختم المقتطف قولهُ فوصف هذه السيوف بعظم المرونة بعد ان جعلها كالسيوف الدمشقيّة فقال: « ومرونتها عظيمة جدًّا حتى انَّ الانسان ليدوس على طرفها الواحد ويمسك بطرفها الاخر ويلويها على زاوية قائمة ولا تنقصف بل ترجع كما كانت اذا تركها » . وعليهِ فاقول ان هذا الكلام باطلٌ لانَّ الجوهر كما يعلم الجمهور لا يوصف بالمرونة لكن بالصلابة والمضاء. امَّا المرونة فهي من خواصّ سيوف اللعب المعروفة بالشتّان والف اسلامبول وكلاهما من الفولاذ وهي خالية من الجوهر يستعملها كلّ من يلعب بالسيف والطارقة ويتفنن بالألعاب

وقد امتدح هذين النوعين من السيوف المرحوم الشيخ يوسف فرنسيس الحاج الماروني الخاصباني الفارس الهمام الشهير في كتابهِ « سراج الليل في ركوب الخيل » عند كلامهِ عن الضرب بالسيف (ص ٥٢) حيث قال: « واحسن السيوف لهذا العلم واسهلها ما كان

---

(١) نقول انهُ لا يجوز ان يحمى الجوهر لدرجة الصفرة للسقاية وانما يُحمى الى الحمرة فقط لانهُ اذا أُحمي لدرجة الصفرة وغُطّس بالماء للسقاية يخرج منهُ متشعّباً ومتقطّعاً ولهذا اصطلحوا على حميهِ لدرجة الحمرة وغمسهِ بالشحم او بالزيت واذا ارادوا ان يكون ليّنًا فبعد ان يسقوهُ بالشحم او الزيت يعيدونهُ الى النار وينظرون الى تقلّب الوانهِ فيعرفون قساوتهُ من ذلك فاللون الاصفر ألين من الابيض وعنق الحمام ألين من الاصفر وهلمَّ جرًّا

من الشتتان او الف اسلامبول لانهما خاليان من الجوهر » (١. هذا واني لارجوهُ تعالى ان يفتح بهذا الفنّ على مبتغيهِ وان يُعيد للمشرق مجدهُ ومباهيه فانهُ القدير وفوق كل ذي علم عليم

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت

٣ (المطبعة الكاثوليكيّة) هي المطبعة الثالثة التي ظهرت في بيروت انشأها آباء الرهبانيّة اليسوعية في اواسط هذا القرن لخدمة الكتائس الشرقيّة والدفاع عن حقائق الايمان الكاثوليكي ونشر لواء الآداب والعلوم في هذه الاصقاع

واول ظهورها في سنة ١٨٤٨. وكانت اذ ذاك عبارة عن مطبعة حجريّة صغيرة اهداها رئيس اقليم ليون الطيب الذكر الاب يليان جوردان (J. Jordan) الى رسالتنا السوريّة. وكان وصولها الى بيروت في غرّة تشرين الاول من السنة. فتولى امرها راهب يدعى يوحنا برون (J-B. Brun) حاذقٌ بفنّ الطباعة مدّة اربع سنوات تحت نظارة رئيس الرسالة السعيد الذكر الاب يوحنّا بيلوته (J. Billotet) الذي قُتل في مدينة زحلة. وقد أُضيفت الى هذه المطبعة بعض الادوات الخشبيّة للكبس والخياطة والتجليد صنعها الاخ الايطالي فردينند بوناچينا المتوفّى مع الاب بيلوته في زحلة سنة ١٨٦٠

ومصنّفات هذه المطبعة الحجريّة نادرة جدًّا لم نعرف منها غير الكتب الآتية:

١ً براءة البابا بيوس التاسع الى الشرقيين (١٨٤٨) — ٢ً كراسة الف باء (سنة ١٨٤٩) — ٣ً كراسة عشيّة الاحد (فيها) — ٤ً كتاب التعليم المسيحي الصغير وكتاب

١) قد ذكر في الصفحة ٤٨ الجوهر فقال: « اما اجناسهُ فنُثرق مردوان وقرا خراسان واسد اصفهان وشتان واجودهُ جوهر السنفر ووجودهُ يندر »: واذ كنا لم نذكر فيما سبق اسد اصفهان فنقول هنا: انّ السيوف المعروفة بصنع اسد الله هي نفس اسد اصفهان وقد اخذ الباعة في هذه الايام بتزويرها اذ يأخذون سيوفًا غيرها ويكتبون عليها اسم اسد الله ليغالوا بثمنها. اما جوهر السنفر فهو شبه الجوهر الخراساني ثمّ انهُ يوجد للجوهر اسماء كثيرة غير التي ذكرناها وهي اما نسبة الى بعض صانعيها المشهورين او لبعض المدن والقرى التي صُنعت بها